عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد ، قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ، أو رام ، وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس : الأسد بالعربية ، ويقال له بالحبشية قسورة ، وبالفارسية شير ، وبالنبطية أوبا .

وقوله تعالى : ﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ ؛ قاله مجاهد وغيره ، كقوله تعالى : ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ وفي رواية عن قتادة : يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل ، فقوله تعالى : ﴿كلا بل لا يخافون الآخرة﴾ أي إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها .

ثم قال تعالى : ﴿كلا إنه تذكرة﴾ أي حقاً إن القرآن تذكرة ﴿فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ كقوله ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ . وقوله تعالى : ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ أي هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قال قتادة . وقال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، أخبرني سهيل أخو حمزة ، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ وقال «قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن أغفر له» ورواه الترمذي وابن ماجة من حديث زيد بن الحباب ، والنسائي من حديث المعافى بن عمران ، كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطيعي به ، وقال الترمذي : حسن غريب وسهيل ليس بالقوي ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن هدبة بن خالد عن سهيل به ، وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطيعي به . آخر تفسير سورة المدثر ، ولله الحمد والمنة .

سورة القيامة

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفياً جاز الاتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي . والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد والرد على مايزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الاجساد ، ولهذا قال تعالى : ﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال الحسن : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ؛ وقال قتادة : بل أقسم بهما جميعاً ، هكذا حكاه ابن أبي حاتم : وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج أنهما قرءا ﴿لأقسم بيوم القيامة﴾ وهذا يوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة ، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً كما قاله قتادة رحمه الله ، وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير ، واختاره ابن جرير ، فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية : أن المؤمن والله ماتراه إلا يلوم نفسه . ما أردت بكلمتي ، ما أردت بأكلتي ، ما أردت بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه ، وقال جويبر : بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال : ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا

أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن إسرائيل عن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال : يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل به ، وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال : تلوم على الخير والشر ، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال : هي النفس اللئوم ، وقال علي بن أبي نجيح عن مجاهد تندم على ما فات وتلوم عليه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : اللوامة المذمومة ، وقال قتادة ﴿اللوامة﴾ الفاجرة . قال ابن جرير : وكل هذه الأقوال متقاربة بالمعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات .

وقوله تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟﴾ أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ قال سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس : أن نجعله خفاً أو حافراً ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ، ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا ؛ والظاهر من الآية أن قوله تعالى : ﴿قادرين﴾ حال من قوله تعالى ﴿نجمع﴾ أي أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه ؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ، ولو شئنا بعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية ، وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج ، وقوله ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ قال سعيد عن ابن عباس : يعني يمضي قدماً ، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ليفجر أمامه﴾ يعني الأمل ، ويقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال : هو الكفر بالحق بين يدي القيامة . وقال مجاهد ﴿ليفجر أمامه﴾ ليمضي أمامه راكباً رأسه ، وقال الحسن : لا يلفى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصمه الله تعالى ،وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف : هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هو الكافر يكذب بيوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد ، ولهذا قال بعده ﴿يسأل أيان يوم القيامة ؟﴾ أي يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ .

وقال تعالى ههنا ﴿فإذا برق البصر﴾ قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار ، وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى : ﴿لايرتد إليهم طرفهم﴾ أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لايستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الأول ، والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ماتشاهده يوم القيامة من الأمور . وقوله تعالى ﴿وخسف القمر﴾ أي ذهب ضوؤه ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ قال مجاهد : كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية ﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت﴾ وروي عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿وجمع بين الشمس والقمر﴾ . وقوله تعالى : ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل ، قال الله تعالى : ﴿كلا لاوزر إلى ربك يومئذ المستقر﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف : أي لانجاة ، وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير﴾ أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه ، وكذا قال ههنا ﴿لاوزر﴾ أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ، ولهذا قال ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أي المرجع والمصير .

ثم قال تعالى : ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها ؛ كما قال تعالى : ﴿ووجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً﴾ وهكذا قال ههنا ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره﴾ أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر ، كما قال تعالى : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ يقول : سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه . وقال قتادة : شاهد على نفسه وفي رواية قال : إذا شئت والله رأيته بصيراً بعيوب الناس وذنوبهم غافلاً عن ذنوبه . وكان يقال : إن في الإنجيل مكتوباً يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره !

وقال مجاهد : ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ولو اعتذر يومئذ بباطل لايقبل منه . وقال السدي ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ حجته . وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ يقول : لو ألقى ثيابه . وقال الضحاك : ولو ألقى ستوره وأهل اليمن يسمون الستر العذار . والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى : ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وكقوله تعالى : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم

الكاذبون﴾ وقال العوفي عن ابن عباس **﴿ولو ألقى معاذيره﴾** هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال **﴿لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾** وقال **﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾** **﴿فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء﴾** وقولهم **﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾** .

لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك ، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته ، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه ، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه . ولهذا قال تعالى **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾** أي بالقرآن كما قال تعالى : **﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علماً﴾** ثم قال تعالى : **﴿إن علينا جمعه﴾** أي في صدرك **﴿وقرآنه﴾** أي أن تقرأه **﴿فإذا قرأناه﴾** أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى : **﴿فاتبع قرآنه﴾** أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك **﴿ثم إن علينا بيانه﴾** أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا . قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال : فقال لي ابن عباس : أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه ، وقال لي سعيد : وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه ، فأنزل الله عز وجل **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾** قال : جمعه في صدرك ثم تقرأه **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾** أي فاستمع له وأنصت **﴿ثم إن علينا بيانه﴾** فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به . ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو يحيى التيمي ، حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة ، وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلفى أوله ويحرك به شفتيه ، خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى : **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾** وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد : إن هذه الآية نزلت في ذلك . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾** قال : كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه فقال الله تعالى **﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه﴾** أن نجمعه لك **﴿وقرآنه﴾** أن نقرئك فلا تنسى ، وقال ابن عباس وعطية العوفي **﴿ثم إن علينا بيانه﴾** تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة . وقوله تعالى : **﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة﴾** أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم ، إنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة . ثم قال تعالى : **﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾** من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة **﴿إلى ربها ناظرة﴾** أي تراه عياناً كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه «إنكم سترون ربكم عياناً» . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها ، لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونها سحاب ؟» قالوا : لا ، قال «فإنكم ترون ربكم كذلك» .

وفي الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ! فإن استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا» وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ «جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» . وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي ﷺ قال «إذا

دخل أهل الجنة الجنة ـ قال ـ يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال : فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة» ثم تلا هذه الآية ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه «إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك» يعني في عرصات يوم القيامة ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات ، وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الملك بن أبحر ، حدثنا يزيد بن أبي فاخته عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين» ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن نوير قال : سمعت ابن عمر فذكره ، قال : وروه عبد الملك بن أبحر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه النوري عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضيع من هذا التفسير وبالله التوفيق .

وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام ، وهداة الأنام ، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ قال : تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضاً فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى : ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟**﴾ قال الشافعي رحمه الله تعالى : ماحجب الفجار إلا وقد علم أن الابرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهي قوله تعالى : ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ قال ابن جرير : حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري ، حدثنا آدم ، حدثنا المبارك عن الحسن ﴿**وجوه يومئذ ناضرة**﴾ قال حسنة ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ قال : تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق .

وقوله تعالى : ﴿**ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة**﴾ هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة : كالحة ، وقال السدي : تغير ألوانها ، وقال ابن زيد ﴿**باسرة**﴾ أي عابسة ﴿**تظن**﴾ أي تستيقن ﴿**أن يفعل بها فاقرة**﴾ قال مجاهد : داهية ، وقال قتادة : شر ، وقال السدي . تستيقن أنها هالكة ، وقال ابن زيد : **تظن** أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى : ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ وكقوله تعالى : ﴿**وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة**﴾ وكقوله تعالى : ﴿**وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية** ـ إلى قوله ـ **وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية**﴾ في أشباه ذلك من الآيات والسياقات .

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وماعنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى : ﴿**كلا إذا بلغت التراقي**﴾ إن جعلنا **كلا** رادعة فمعناها لست ياابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا ، وإن جعلناها بمعنى حقاً فظاهر ، أي حقاً إذا **بلغت** التراقي أي انتزعت روحك من جسدك و**بلغت** تراقيك ، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ، كقوله تعالى : ﴿**فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لاتبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها ، إن كنتم صادقين**﴾ وهكذا قال ههنا : ﴿**كلا إذا بلغت**

﴿التراقي﴾ ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذي تقدم في سورة يس . والتراقي جمع ترقوة وهي قريبة من الحلقوم ﴿وقيل من راق ؟﴾ قال عكرمة عن ابن عباس : أي من راق يرقى ، وكذا قال أبو قلابة : ﴿وقيل من راق﴾ أي من طبيب شاف ، وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا نصر بن علي ، حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي ، حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ﴿وقيل من راق﴾ قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة .

وهذا الإسناد عن ابن عباس في قوله : ﴿والتفت الساق بالساق﴾ قال : التفت عليه الدنيا والآخرة ، وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿والتفت الساق بالساق﴾ يقول آخر يوم في الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله . وقال عكرمة : ﴿والتفت الساق بالساق﴾ الأمر العظيم بالأمر العظيم ، وقال مجاهد : بلاء ببلاء ، وقال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿والتفت الساق بالساق﴾ هما ساقاك إذا التفتا ، وفي رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالاً ، وكذا قال السدي عن أبي مالك ، وفي رواية عن الحسن : هو لفهما في الكفن ، وقال الضحاك : ﴿والتفت الساق بالساق﴾ اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه . وقوله تعالى : ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ أي المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات ، فيقول الله عز وجل : ردوا عبدي إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، كما ورد في حديث البراء الطويل . وقد قال الله تعالى : ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ .

وقوله جل وعلا ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى﴾ هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذباً للحق بقلبه متولياً عن العمل بقالبه ، فلا خير فيه باطناً ولاظاهراً ، ولهذا قال تعالى : ﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ جذلاناً أشراً بطراً كسلانا لا همة له ولا عمل، كما قال تعالى : ﴿وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين﴾ وقال تعالى : ﴿إنه كان في أهله مسروراً إنه ظن أن لن يحور﴾ أي يرجع ﴿بلى إنه كان به بصيراً﴾ وقال الضحاك عن ابن عباس ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ أي يختال . وقال قتادة وزيد بن أسلم : يتبختر . قال الله تعالى : ﴿أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى﴾ وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد ، كقوله تعالى : ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ وكقوله تعالى : ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون﴾ وكقوله تعالى : ﴿فاعبدوا ماشئتم من دونه﴾ وكقوله جل جلاله : ﴿اعملوا ماشئتم﴾ إلى غير ذلك . وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا عبد الرحمن يعني ابن مهدي عن إسرائيل عن موسى بن أبي عائشة قال : سألت سعيد بن جبير قلت ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ قال : قاله النبي ﷺ لأبي جهل ثم نزل به القرآن .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبو النعمان ، حدثنا أبو عوانة وحدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن سليمان ، حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ ؟ قال : قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل ، قال ابن أبي حاتم : وحدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا شعيب عن إسحاق ، حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى﴾ وعيد على أثر وعيد كما تسمعون ، وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبي الله ﷺ بمجامع ثيابه ثم قال : ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ فقال عدو الله أبو جهل : أتوعدني يامحمد ؟ والله لاتستطيع أنت ولا ربك شيئاً وإني لأعز من مشى بين جبليها . وقوله تعالى : ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ قال السدي : يعني لايبعث . وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني لايؤمر ولاينهى ، والظاهر أن الآية تعم الحالين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لايؤمر ولاينهى ، ولايترك في قبره سدى لايبعث بل هو مأمور منهي في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة ، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ، ولهذا قال تعالى مستدلاً على الإعادة بالبداءة فقال تعالى : ﴿ألم يك نطفة من مني يمنى﴾ أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين . يمنى : يراق من الأصلاب في الأرحام .

﴿ثم كان علقة فخلق فسوى﴾ أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً آخر سليم الأعضاء ذكراً أو أنثى بإذن الله وتقديره . ولهذا قال تعالى : ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ ثم قال تعالى : ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بداه وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة وإما مساوية على القولين في قوله تعالى : ﴿وهو الذي يبدأ الخلق

ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره ، والله أعلم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح ، حدثنا شبابة عن شعبة ، عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن ، فإذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال : سبحانك اللهم فبلى ، فسئل عن ذلك فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال : كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال سبحانك فبلى ، فسألوه عن ذلك فقال : سمعته من رسول الله ﷺ ، تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولايضر ذلك .

وقال أبو داود أيضاً : حدثنا عبد الله بن محمد الزهري ، حدثنا سفيان ، حدثني إسماعيل بن أمية ، سمعت أعرابياً يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى قوله ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فليقل بلى ، ومن قرأ ﴿والمرسلات﴾ فبلغ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل آمنا بالله» ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر ، عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له من حدثك ؟ قال : رجل صدق عن أبي هريرة . وقال ابن جرير : حدثنا بشر ، حدثنا يزيد ، حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى : ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك وبلى» ثم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان الواسطي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، أنه مر بهذه الآية ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟﴾ قال : سبحانك فبلى . آخر تفسير سورة القيامة ، ولله الحمد والمنة .

سورة الإنسان

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة ﴿هل أتى على الإنسان ؟﴾ وقال عبد الله بن وهب : أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر ؟﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله ﷺ «أخرج نفس صاحبكم ـ أو قال أخيكم ـ الشوق إلى الجنة» مرسل غريب .

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟﴾ ثم بين ذلك فقال جل جلاله ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ أي أخلاط ، والمشج والمشيج : الشيء المختلط بعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿من نطفة أمشاج﴾ يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون ، وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى : ﴿نبتليه﴾ أي نختبره كقوله جل جلاله ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله جل وعلا ﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا : ﴿وأما ثمود فهديناهم